مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 08 / العـدد: 02 مكرر (الجزء الأول) / جويلية 2019 / ص ص 235 - 248
عدد خاص بالملتقى الوطني الأول: مشروع أسلمة المعرفة، مبرراته وإشكاليات تطبيقه

المشروع الفكري الإسلامي: من الاجتهادات المتناثرة إلى إسلامية المعرفة

Islamic intellectual project: from the scattered diligences to the Islamization of knowledge

د. عمار قاسمي[1]

[1] جامعة العلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر) ، ammar.gasmi06@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/06/13 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:

التدافع بين الحق والباطل في توجيه المعرفة مسألة قديمة بدأت مع سيدنا آدم عليه السلام وهو في الجنة، حين وسوس إليه الشيطان بغية إخراجه منها حسدا وغرورا، واستمر هذا التدافع طيلة الحقب التاريخية المتعاقبة ففي كل مرة ينجح الشيطان في تحريف المعرفة عن مسارها، يكرس الله سبحانه وتعالى من يرجعها إلى مسارها الصحيح وحيا كان أو بشرا. والمتأمل في الثقافات القديمة يلمس هذا التدافع حتى داخل الحضارة الواحدة، فالثقافة اليونانية بدأت صابئية وثنية ولم تقبل عقيدة الخلق من العدم فأنفق فلاسفتها الأوائل –ما سمي بالفلاسفة الطبيعيين- ردحا من الزمن يثبتون أن أصل الكون هو المادة، استمر الحال هكذا إلى أن جاء فيثاغورس وبين للناس أن هذا الكون الفسيح خلقه الله تعالى من العدم، ثم جاء السفسطائيون وحرفوا المعرفة مرة أخرى عن مسارها الصحيح وأعادوا أصل الكون إلى المادة، وقضوا على كل ما يرتبط بالوحي والسماء، وجعلوا الإنسان مقياس الأشياء جميعا، ثم جاء سقراط وأفلاطون وحاولا إرجاعها إلى نصابها الصحيح.

بمجيء الإسلام حصلت ثورة علمية تجاوزت المعرفة القديمة التي كانت تنحصر في مفردات أرسطو وأفلاطون، إلى معرفة علمية جديدة مؤسسة على منهج علمي دقيق، وموجهة توجيها إسلاميا، غير أنها سرعان ما انتقلت إلى الغرب عن طريق المراكز الثقافية الكبرى طليطلة والقسطنطينية وتم تصفيتها من كل أبعادها الإسلامية وتوجيهها حسب الديانات التي يعتمدها الغرب، وأوهمنا بأن ما يقوم به من دراسات وأبحاث موضوعية وعلمية والحقيقة غير ذلك، فوصل الإنسان المعاصر بهذه العلوم الموجهة توجيها أيديولوجيا غربيا إلى ما هو عليه من فساد للقيم وحالة من العدمية المطلقة. من هذه المنطلقات جاء مشروع أسلمة المعرفة ليعيد توجيه المعرفة الإنسانية توجيها إسلاميا صحيحا حتى ينقذ البشرية من الفتنة والنكبة والهلاك.

ومنه نستشكل: هل المعرفة ذات طبيعة إسلامية؟ إذا كانت كذلك: كيف تم تحويرها وإعادة توجيهها

المؤلف المرسل: عمار قاسمي، **الإيميل:** ammar.gasmi06@yahoo.fr

EISSN: 2602 - 6090 | الإيداع القانوني: 66 - 2006 | ISSN: 1112 - 6752

من طرف الغرب حين أمسك بزمام الحضارة؟ كيف نجح الغرب في إيهامنا بأن العلوم موضوعية؟ ما هي الاجتهادات الأولى التي حاولت إعادة توجيه المعرفة توجيها إسلاميا؟ وكيف تبلورت فكرة مشروع إسلامية المعرفة؟ وهل نضجت في جميع أبعادها المعرفية والمنهجية والواقعية؟. تهدف هذه الورقة إذن إلى التعريف بمشروع الفكر الإسلامي في حقبة التوجه إلى جمع الاجتهادات المتناثرة والتأسيس لأسلمة المعرفة أو إسلامية المعرفة.

كلمات مفتاحية: المشروع ،الفكري، أسلامية ،المعرفة، الاجتهادات.

Abstract :

The stampede between the right and wrong in directing knowledge is an old matter that started with our master Adam, peace be upon him while he was in heaven, when Satan whispered to him in order to get him out of it envy and arrogance, and this stampede continued throughout the successive historical eras, each time the devil succeeds in distorting knowledge of its path, God Almighty consecrates The Almighty will return it to its correct path, whether it is human or human. And the contemplative of ancient cultures touches this stampede even within one civilization. The Greek culture began a pagan Sabian and did not accept the doctrine of creation from nothing, so its early philosophers - so-called natural philosophers - spent a period of time proving that the origin of the universe is matter, the situation continued like this until Pythagoras came between To the people that this vast universe was created by God Almighty from scratch, then the sophists came and distorted knowledge once again from its correct path and restored the origin of the universe to matter, eliminated everything related to revelation and heaven, and made man the measure of all things, then Socrates and Plato came and tried to return it to its righteousness Ih.

With the advent of Islam, a scientific revolution took place that went beyond the ancient knowledge that was confined to the vocabulary of Aristotle and Plato, to a new scientific knowledge based on an accurate scientific approach, and directed Islamic guidance, but it soon moved to the West through the major cultural centers of Toledo and Constantinople and was filtered from all its Islamic dimensions And directing it according to the religions adopted by the West, and deluded us that what it does of objective and scientific studies and research and the truth is otherwise, so the modern man has brought these directed sciences to direct a Western ideology to what it is of corruption of values and a state of absolute nihilism. From these starting points, the project of Islamization of knowledge came to redirect human knowledge a correct Islamic orientation in order to save humanity from discord, calamity and destruction.

From it we form: Is knowledge of an Islamic nature? If so: How was it transformed and reoriented by the West when it held the reins of civilization? How did the West succeed in making us believe that science is objective? What are the first jurisprudence that attempted to redirect knowledge Islamic guidance? How did the idea of an Islamic knowledge project take shape? Have they matured in all their

introduce the Islamic thought project in the era of orientation to collect scattered jurisprudence and establish the Islamization of knowledge or Islamic knowledge.
Keywords: Project, Intellectual, Islamization, Knowledge, diligences.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام المنتجبين. وبعد: فقد حصل في ماضي الأمة الإسلامية ما يحصل الآن مع وجود فروق جوهرية، ففي الماضي تسبب التدافع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى إلى بروز ثلاثة تيارات أساسية؛ الأول تأثر كلية بالفكر الوافد وانبهر به إلى حد التخلي تماما عن الأصل، والثاني ذهب إلى محاولة التوفيق بين الوافد والأصيل بجعل الوافد في المرتبة الأولى والأصيل في المرتبة الثانية، بمحاولة تأويل النقل حتى يتوافق مع ما وصل إليه عقل الوافد، والثالث عكف على قراءة الوافد قراءة علمية دقيقة من أجل تأصيل ما يمكن تأصيله واستبعاد ما لا يخدم الدين ويفيد العباد، غير أن الأمة في هذه الحقبة كانت في حالة قوة؛ لا تعاني من الضعف الدنيوي، ولا من الضعف الديني وإنما كانت في حاجة إلى تجديد أمر دينها نظرا لتوسع رقعة الأمة الإسلامية وتنوع مشكلاتها، كما أن الوافد كان غير مستقل عن الفلسفات والثقافات الاعتقادية التي نبع منها.

وبعد أن تسلط أعداء الأمة من الداخل والخارج وتم إلغاء نظام الخلافة وتقسيمها إلى دوليات على النمط الثقافي الغربي، تحولت إلى أمة بالاسم وتوسعت حاجاتها؛ فقد ابتليت بالاحتلال الغربي الذي سلب ثرواتها المادية والبشرية، والعلمية وتسبب في ضعفها الديني والدنيوي، بعد أن أمطرها بوابل من المذاهب الفلسفية والتيارات الإيديولوجية والنزعات الفنية والأدبية، فكانت حاجاتها تتجه نحو هدفين؛ تجديد التفكير الديني بالقضاء على الجهل بالدين وانتشار البدع والخرافات.. وإصلاح أمر الدنيا بالعلوم الحديثة وفقه علماء الشريعة، ولما حصل تقدم دنيوي كبير في الغرب نتيجة التطور العلمي في المنطق وعلوم الطبيعة والرياضيات، تبعه تقدم صناعي وتقني هائل ولحقه تقدم في العلوم الاجتماعية والإنسانية، انبهر العرب والمسلمون بهذا التقدم مرة أخرى، رغم أنه اختلط بانحرافات كبيرة خاصة موقفه من الدين؛ فقد ارتبط العلم الغربي في مناهجه ونظرياته وتوجهاته بالإلحاد منذ القرن التاسع عشر، وانفصل تماما عن الفلسفة، وتُوِّج هذا الانبهار بإرسال بعثات علمية إلى بلاد الغرب، مثل التي قام بها محمد علي باشا، فدخلت الانحرافات المرتبطة بحركة العلم إلى بلاد المسلمين في صور مختلفة، وامتدت حتى إلى المجالات الغيبية المتعلقة بالعقيدة، فأحدثت صراعا فكريا كبيرا أدى إلى انقسام المسلمين مرة أخرى إلى ثلاثة اتجاهات هي: الاتجاه السلفي الذي يدعو إلى التأصيل الإسلامي النافع من هذه العلوم، وإلى نقد الضار منها وفق منهجية

إسلامية شاملة، متمثلا في مشروع أسلمة المعرفة والعلوم وهو مشروع قديم، يعتبر امتدادا للمشروع التأصيلي في الحقبة الماضية التي يمثلها ابن تيمية والشافعي والشاطبي وغيرهم كثير.

والاتجاه العصري الذي تأثر ببعض الانحرافات وتوهم ضرورة الفصل بين الدين والعلم، واضطر إلى تحريف النصوص الشرعية والقضايا الدينية من أجل موافقة العلم، ودعا إلى مواصلة طريقة المتقدمين من أهل الكلام وغيرهم فقدموا العلم على النقل وتأولوا النقل عندما توهموا التعارض مثلما سبّق أسلافهم العقل على النقل.

وأخيرا الاتجاه التغريبي، وهو الاتجاه الذي تبنَّى كل ما في الغرب بما في ذلك العلوم الحديثة ومناهجها ونظرياتها، ومفاهيمها، بما فيها من خير وشر، كما هي، حتى ذلك التعارض الواضح مع الدين والعقيدة، ولم يفرقوا بين الصحيح والفاسد مثل؛ سلامة موسى ومحمد أركون وحسن حنفي وغيرهم كثير، بعضهم دعا إلى إعادة النظر في الدين حتى يتوافق مع العلم الحديث، وبعضهم اعتبر الدين قضية روحية شخصية لا علاقة له بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبعضهم اعتبره مرحلة خرافية يجب تجاوزها، من هنا جاءت ضرورة الاهتمام بملابسات ظهور الانحراف في الفكر العلمي والديني الإسلامي المعاصر، خاصة وأنه وثق وثوقا مطلقا في حركة العلم الغربي واستعار نظرياته ومناهجه وحتى مفاهيمه، وطرح الاستشكالات التالية:

ما هي الظروف التي تشكّل فيها الفكر الإسلامي في الحقبة الأولى التي شكلت التراث؟ ثم الحقبة الثانية محاولات النهضة؟ ثم الحقبة المعاصرة؟ ما هي أهم المؤثرات التي أسهمت في تشكيل هذا الفكر؟ كيف يمكن الاستفادة من الاجتهادات السابقة في أسلمة المعرفة؟ وكيف ساهم مشروع أسلمة المعرفة المعاصر في الكشف عن المؤثرات التي ساهمت في تشكيل الفكر العلمي والديني الإسلامي؟ وإلى أي مدى نجح هذا المشروع في تنقية الوافد بتأصيل ما يمكن تأصيله واستبعاد ما يمكن استبعاده؟.

وفي انتظار الإجابة عن هذه الإشكاليات؛ يهدف البحث إلى الكشف عن طبيعة المعرفة وعن حقيقة التدافع بين الحق والباطل في توجيهها، كما يهدف إلى الكشف عن مساهمات أسلافنا في أسلمة المعرفة والعلم الوافد في عصرهم وبيان طرق الاستفادة منها، وفي كلمة جامعة يهدف البحث إلى التعريف بمشروع أسلمة المعرفة من حيث جذوره المعرفية وأطره المنهجية وانعكاساته الواقعية.

وللإجابة عن هذه التساؤلات يفترض البحث أن المعرفة والعلم إسلاميان بطبعهما وأن أي تحريف لهما يخرجهما من دائرة العلم، وأن هذين العنصرين لا يمكن فصلهما عن التوحيد، وعن الشريعة الإسلامية، وان اجتهادات أسلافنا هي محاولات جادة لأسلمة الوافد من المعرفة والعلم والمنهج والمفاهيم، وأن مشروع أسلمة المعرفة المعاصر يمكن أن يستفيد منها ويزيد عليها.

لهذا جاء هذا العمل في ثلاثة عناصر؛ الأول أهتم بالمفاهيم وأثبت أن المعرفة إسلامية بطبعها، والثاني وقف عند التدافع بين الحق والباطل في توجيه المعرفة مع عرض بعض الاجتهادات المتناثرة في تراثنا الفكري والعلمي الإسلامي، والثالث اهتم بعرض المشروع الذي خطط له وأنجزه المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

ولتحقيق هذه الخطة تطلب البحث إتباع عدة مناهج وآليات حسب طبيعة الموضوع المدروس، منها المنهج التاريخي النقدي المقارن، والمنهج الوصفي، وعدة آليات منطقية خاصة المتعلقة منها بالتعريف وإعادة التعريف.

- المبحث الأول: المشروع الفكري الإسلامي والطبيعة الإسلامية للمعرفة

1- مفهوم المشروع الفكري الإسلامي: نتيجة المغالبة الحضارية، أصبحت أغلب المفاهيم والمصطلحات مشبعة بدلالات التجربة الحضارية للثقافة الغربية[1]، فالمعجم الفلسفي لمراد وهبة ما هو في الحقيقة إلا صورة مشوهة لمعجم لالاند الفلسفي، وما يقوله المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية لا يخلو من مفاهيم الثقافة الغربية.. مما يدفع إلى البحث عن أصل المفهوم في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم في اللغات الغربية، ثم رصد الدلالات الاصطلاحية الموجودة في المعاجم الفلسفية، ثم تتبع سيرته تطورا وتاريخا ومآلا، ثم استنتاج المفهوم الذي ينضبط بالتجربة الحضارية الإسلامية.

المشروع اسم مفعول من شَرَعَ، يقول ابن فارس: "شَرَعَ الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يُفتَحُ في امتداد يكون فيه، من ذلك؛ الشَّريعةُ، وهو مورد الشاربة الماء، واشتق من ذلك الشِّرعة في الدين والشريعة"[2].

ويقول الزمخشري: "شرع أي عمل بالشرع، الشرائع نعم الشرائع من وردها روَيَّ، وإلا دوَيَّ"[3].

وقد وردت معان كثيرة عند ابن منظور منها: "شرع تناول الماء بفيه (...) شرع؛ دخل، (...) الشريعة؛ المواضع التي ينحدر إلى الماء منها"[4] "والشارع؛ الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة (...) وأشرع الشيء رفعه جدا"[5].

والشَّريعَةُ والشِّرعة، ما سن الله من الدين وأمر به، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ (الجاثية: 18)، وقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48) قيل في تفسيره الشِّرعة: الدين، والمنهاج: الطريق[6]، وشَرَعَ الشيء: أعلاه وأظهره، وشَرَع الأمر:

جعله مسنونًا مشروعًا، وشَرَعَ الطريق: مَدَّه ومَهَّدَه، والمشروع: ما سوغه الشرع، والمشروع الأمر يهيأ ليدرس ويقرر، والجمع: مشروعات[7].

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم؛ شَرَعَ: بيّن ووضح، ومنه قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الشورى: 13)[8].

أما في اللغات الغربية فيذهب أندريه لالاند في موسوعته الفلسفية إلى أن هذه اللفظ (مشروع- Projet [F])[9] يستعمل بمعنى واسع جدًا، خصوصًا عند الكتاب الوجوديين ليدل على "كل نزوع للفرد إلى تغيير ذاته وتغيير ما يحيط به في اتجاه معين، عندما أقول إن الإنسان مشروع يقرر بذاته، فإنما أعني أنه لا توجد مسبقًا حالات نفسية مثل اللذة أو الألم يجري تعلق الوعي بها، بل أعني أن الوعي في الحقيقة هو الذي يلتذ أو يتألم، وأنه يقرر على هذا النحو سواء في بنيته أو في مجرى حياته.."[10].

أما في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية فإن المشروع: "مصطلح أساسه اقتصادي وقانوني، وقد استعمله الوجوديون للدلالة على كل ما ينزع به الفرد إلى تغيير نفسه أو تغيير ما يحيط به في اتجاه معين، فالإنسان عندهم كله مشروع في طريق التكوين"[11]، فهو "مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقًا على الماهية، وينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه"[12].غلب على لفظ المشروع المفهوم المادي الوجودي في الثقافة الغربية، ونتيجة الغزو الفكري والثقافي تسللت هذه الدلالات إلى الحقل المعرفي الإسلامي وتجنبا لها ومن خلال المعاني السابقة نستنتج الدلالات والمقتضيات التالية: 1- المشروع تشريع جديد نابع من القرآن والسنة، مهيأ للحاضر من أجل المستقبل.

2- المشروع لابد له من طاقة تكفي لإنجازه كاملا، حتى يستمر ولا يتوقف في منتصف الطريق.

3- لابد له من مخطط حتى لا ينحرف عن مساره.

4- لابد له من بعد زمني، يتمثل في الحقبة التي يمكن أن ينجز فيها المشروع.

5- لابد للمشروع أن يحدد أهدافه ومقاصده وغاياته ومثله الأعلى.

6- على المشروع أن يدرس بدقة المجال والأرضية التي سيطبق فيها، ويشكل تصورا دقيقا شاملا عنها.

7- لابد للمشروع من رجال؛ حملة المشروع، وما يجب أن يتوفروا عليه من خصائص.

8- لابد من آليات تشغيل المشروع ودفعه إلى الأمام حتى يصل إلى أهدافه.

9- لابد أن يراعي المشروع روح العصر ومنطقه وتوجهه العام.

10- لابد للمشروع أن يأخذ في اعتباره العوامل المقاومة له والعوائق التي تصده.

أما الفكر مشتق من "فَكَرَ؛ الفاء والكاف والراء؛ تردُّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر، إذا ردد قلبه معتبرا، أو رجُلٌ فِكِّير، كثير الفكر"[13].

"فكر، يقال لا فكر لي في هذا إذا لم تحتج إليه ولم تبال به، فكر ما دار حوله فكري"[14].

"الفكر، إعمال الخاطر في الشيء، يقال: ليس لي في هذا الأمر فكر، أي ليس لي فيه حاجة"[15].

وبهذا فالمشروع الفكري الإسلامي هو مختلف الاجتهادات المعرفية والعلمية والعملية النابعة من القلب والعقل لغرض النهوض بالأمة وإعادة بنائها حضاريا والذي تتوفر فيه الشروط والخصائص العشرة السابقة.

2- الطبيعة الإسلامية للمعرفة: يخلق الله سبحانه وتعالى كل شيء، فهو واحد لا إله غيره، الفرد الصمد مطلق الكمال ليس كمثله شيء لا شريك له، وهو حق ومصدر كل حق، ومصدر كل شيء وغاية كل شيء، فوجود الله سبحانه وتعالى وإرادته وأفعاله هو الأساس الأول لبناء كل الكائنات وكل المعارف وأنظمتها، فالمعرفة الإنسانية لها نقطة بداية هي الإيمان بوحدانية الله تعالى، ولها مصباح يهديها إلى الطريق الصحيح الذي رسمه الوحي عن طريق الأنبياء عبر آلاف السنين، وأكتمل هذا الطريق واتضح بشكل نهائي باكتمال الدين مع سيد المرسلين وخاتم النبيين، لقد ترك صلى الله عليه وسلم نصا صريحا في خطاب حجة الوداع الذي وجه إلى الأمة الوسط، وإلى الناس جميعا: "تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا؛ كتاب الله وسنتي"، غير أن الإنسان عبر المسيرة التاريخية الطويلة يركن إلى الأرض ويحتكم إلى وساوس الشيطان، وأحيانا يعتقد في نفسه وعقله الكمال، ويرسم لنفسه طرقا تنتهي به إلى الهلاك.

فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان، وجعل له أدوات المعرفة، وهو الذي خلق المعرفة وأنظمتها، إذن فالمعرفة إسلامية في منطلقها، إسلامية في منهجها، إسلامية في توجهها، وإسلامية في أهدافها وغاياتها.

فقد حصل في تاريخ المسلمين أن وفدت الفلسفات والعلوم عن طريق الترجمة، وتسببت في التلبيس.

وقد ذكر طه جابر العلواني المصنفات التي درست المنهجية القرآنية وأغفل أهم كتاب وهو "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي، رغم أن مالك هو السباق لاكتشاف المنهج العلمي الجديد[16].

- المبحث الثاني: التدافع بين الحق والباطل في توجيه المعرفة: التدافع بين الحق والباطل في توجيه المعرفة مسألة قديمة بدأت مع سيدنا آدم عليه السلام وهو في الجنة، حين وسوس إليه الشيطان بغية إخراجه منها حسدا وغرورا، واستمر هذا التدافع طيلة الحقب التاريخية المتعاقبة ففي كل مرة ينجح الشيطان في تحريف المعرفة عن مسارها، يكرس الله سبحانه وتعالى من يرجعها إلى مسارها الصحيح بشرا كان أو وحيا.

والمتأمل في الحضارات القديمة يلمس هذا التدافع حتى داخل الحضارة الواحدة، فالحضارة اليونانية بدأت صابئية وثنية ولم تقبل عقيدة الخلق من العدم فأنفق فلاسفتها الأوائل –ما سمي بالفلاسفة الطبيعيين- ردحا من الزمن يثبتون أن أصل الكون هو المادة؛ فطاليس أرجعه إلى الماء، وأنكسمنس إلى الهواء، وأنكسيموندريس إلى التراب وهيراقليطس إلى النار. استمر الحال هكذا إلى أن جاء فيثاغورس وبين للناس أن هذا الكون الفسيح خلقه الله تعالى من العدم، أسس فيثاغورس المدرسة التي سميت باسمه وكان له أتباع، ونظرا لأن هذه العقيدة تخالف عقيدة دولته الصابئية فقد حوصرت وقتل أغلب مريديها، لقد كان هذا الفيلسوف العظيم أول من نحت اللفظ "فلسفة" واستخدمها بمعناها الحقيقي وهو محبة الحكمة، المعنى الذي يضفي عليها البعد العاطفي والوجداني وليس كما يعتقد اليوم أنها بحث عقلي مجرد.

ثم جاء السفسطائيون وحرفوا المعرفة مرة أخرى عن مسارها الصحيح أرجعوا أصل الكون إلى المادة، وقضوا على كل ما يرتبط بالوحي والسماء، وجعلوا الإنسان مقياس الأشياء جميعا، وحتى يذيع صيتهم احترفوا مهنة التدريس ينشرون من خلالها أفكارهم التي تعتمد على التلاعب بالألفاظ ثم التلاعب بالعقول، وقد شجعتهم السلطة السياسية لتخدير عقول الناس وإرجاعهم إلى الصابئية الوثنية.

رجع سقراط من الشام وقد التقى بأصحاب داود وسليمان عليهما السلام، فوجد بلاد اليونان على هذه الحال، فراح يجوب الشوارع يعلم الشباب الحقيقة باستعمال منهجه الشهير (التهكم والتوليد)، وسعى جاهدا أن يهدم ما بناه السفسطائيون ويُرجِع المعرفة إلى طريقها الصحيح، بنشر الفضيلة والعدالة وحثهم على التوحيد والعزوف عن عبادة الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، فأستطاع أن يستقطب بدعوته هذه عقولا كبيرة أبرزها أفلاطون، الذي كان هو الآخر قد سافر إلى أرض الأنبياء، أسس أفلاطون نظرية في المعرفة تنطلق من عقيدة أساسية هي وجود عالمين الدنيا والآخرة، العالم الحسي والمثل. هذه النظرية التي تريد أن تبين للناس أن هذه الدنيا (العام الحسي) ما هي إلا محطة مؤقتة وأن العالم الحقيقي الذي يجب أن يعمل له الإنسان هو اليوم الآخر (المثل

أو عالم التركيب). فالفلسفة عند أفلاطون: "هي البحث عن الحقيقة المطلقة المتسترة خلف ظواهر الأشياء"، وهذه الحقيقة ما هي إلا التوحيد.

حكم على سقراط بالإعدام بتهمة إفساد عقول الشباب والكفر بآلهة أثينا، فقد دافع عن نفسه ودحض حجج المحكمة، لكنها أصرت في النهاية على أن يُعدم، كان موقفا مهيبا حين التف حوله تلاميذه والساقي ينتظر الأمر بإعطائه السم، عرض عليه أحد تلاميذه الهروب فأصر على البقاء والامتثال لأمر المحكمة. إنه موقف مهيب فعلا قدم السقاء وتجرع سقراط السم ولفظ أنفاسه الأخيرة، وقد قدر للمعرفة في اليونان أن تلفظ هي الأخرى أنفاسها الأخيرة بانحرافها عن طريقها الإسلامي الصحيح فقد جاء أرسطو وأرجعها إلى صابئيتها ووثنيتها القديمة، فأرجع أصل الكون إلى العناصر الأربعة؛ الماء والهواء والتراب والنار. وأسس مجموعة من التعاليم القياسية التي تصبوا إليها كل العقول، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وسبب ذلك: ما ذكره طائفة ممن جمع أخبارهم، أن أساطينهم الأوائل كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون كانوا يهاجرون إلى أرض الأنبياء بالشام ويتلقون عن لقمان الحكيم، ومن بعده من أصحاب داود وسليمان، وأن أرسطو لم يسافر إلى أرض الأنبياء، ولم يكن عنده من العلم بإثارة الأنبياء ما عند سلفه، وكان عنده قدر يسير من الصابئية الصحيحة، فأبتدع لهم هذه التعاليم القياسية وصارت قانونا مشى عليه أتباعه"[17]، بهذه التعاليم الأرسطية في القياس وفي الطبيعة "الفيزياء"، حرف المعرفة عن الطريق الإسلامي الصحيح إلى الطريق الوثني الصابئي الذي أفرز فيما بعد "المدرسة الرواقية" و"المدرسة الأبيقورية" اللتين عبرتا بشكل صريح عن انحطاط الفكر اليوناني بركونه إلى الجبرية القاتلة واللذة الفانية، هذا الانحطاط الذي أدى إلى نهاية هذه الحضارة واندثارها بشكل نهائي.

والغريب في الأمر أن "البراديغم" أو النموذج الإرشادي الذي يوجه المعرفة داخل الحضارة الغربية سواء في ثورتها الأولى القائمة على مبدأ الحتمية، أو في ثورتها الثانية القائمة على النسبية واللاحتمية، يستمد جذوره الأساسية من الفلسفة السفسطائية وفلسفة أرسطو وفلسفة المدرسة الأبيقورية، أي من تلك المحطات التي انحرف فيها الفكر اليوناني عن المسار الإسلامي الصحيح.

- **مراحل التقدم العلمي والمعرفي:** يمكن تقسيم التقدم العلمي والمعرفي إلى خمسة مراحل:

- **أولا: الحضارات القديمة:** تبدأ هذه الحقبة من سيدنا آدم عليه السلام إلى مختلف الحقب التاريخية، سواء تلك الأقوام البائدة أو الحضارات القديمة التي مازالت شواهدها المادية قائمة، ورغم ما قيل عن إنتاج المعرفة وبعض الجزئيات الخاصة بالعلم إلا أن الصورة العامة لهذه المرحلة التاريخية تميزت بالنمو البطيء للعلم والمعرفة؛ فالتدافع المعرفي لم يصل إلى درجة عالية من التقدم

بل كان شبه ثابت، أما بالنسبة للتقدم في مجال العلوم فلم يسجل التاريخ نشأة علوم ناضجة بالشكل الذي تحقق عند علماء الإسلام، كل ما في الأمر شذرات لم ترق إلى مرتبة العلم الموضوعي الدقيق، ولعل سبب ذلك يرجع إلى عاملين أساسيين: النماذج الإرشادية التي كانت توجه المعرفة في تلك الحقبة، وعدم اكتمال الدين.

- **ثانيا: العالمية الإسلامية الأولى:** أو الثورة العلمية والمعرفية الأولى، في هذه الحقبة نضجت المعرفة باكتمال الدين فتأسست أغلب العلوم وكل الاتجاهات العقدية وكل المذاهب الفقهية وكل المدارس الفلسفية وكل الفرق الكلامية وكل الطرق الصوفية. تأسست إسلامية ونشأت إسلامية وتوجهت توجها إسلاميا، حوالي 06 قرون الهجرية الأولى نضجت المعرفة في حضن التوحيد ووصلت إلى أوجها ثم انحدرت حتى كادت تؤدي بالأمة إلى الاضمحلال حين وهنت الدفعة التوحيدية. بعدها يبرز نخبة من العلماء الأفذاذ على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لإعادة بناء العالم الإسلامي بإعطاء دفعة قرآنية جديدة، كتب لها أن تبقى المصدر الأساسي لكل الدفعات التي ستأتي فيما بعد، فحركة محمد عبد الوهاب ومشروع إسلامية المعرفة ماهي في الحقيقة إلا قبس من تلك الدفعة التوحيدية الحية، وقد صرح بذلك الشهيد الشيخ إسماعيل راجي الفاروقي نفسه بذلك حين سأله أحد الطلبة عن سر التوفيق بين ثقافته الإسلامية والثقافة الغربية.

يتوقف العالم الإسلامي بتوقف الدفعة القرآنية، كما يتوقف المحرك حين يستنفد آخر قطرة من البنزين على حد تعبير مالك بن نبي رحمه الله، لأسباب داخلية أساسية وأخرى خارجية ثانوية.

- **ثالثا: الثورة المعرفية الغربية الأولى (براديغم الحتمية):** ينتقل التراث الإسلامي إلى الغرب عن طريق الأجيال المتعاقبة من علماء الغرب الذين تلقوا علومهم في بلاد المسلمين خاصة تركيا والأندلس وبجاية في الجزائر،.. ثم عن طريق الحملات المتتالية للمستشرقين والمحتلين.

يأخذ الغرب هذا التراث ويقوم بتصفيته ليستفيد من العلوم الدنيوية والمناهج التي تخدمها، فلو أخذنا أي علم من العلوم أو أي منهج من المناهج وقمنا باستخراج العناصر الأساسية التي بني عليها سنجد أنها من انتاج المسلمين؛ فمنهج ديكارت ما هو إلا صورة مشوهة لمنهج السبر والتقسيم، والمنهج الظواهري لـ(هوسرل) ما هو في الحقيقة إلا المنهج الظاهراتي الذي وضعه البيروني، والمنهج الاستقرائي عند فرونسيس بيكون ماهو في الحقيقة إلا المنهج التجريبي الذي مارسه ابن سينا وابن الهيثم وغيرهم، وقس على ذلك نظائره..

التوجه الدنيوي المادي للعلم دفع علماء الغرب إلى تلك الاكتشافات الطبيعية الكبرى التي رسخت اعتقادا جازما بإمكانية فهم جميع عناصر هذا الكون فهما مطلقا يؤدي إلى السيطرة عليه

والتحكم فيه بشكل نهائي، لأنه كون ميكانيكي، وهذا هو النموذج الإرشادي القائم على مبدأ الحتمية، الذي انتج عصرا تحكمه فيزياء نيوتن.

- رابعا: الثورة المعرفية الغربية الثانية (براديغم النسبية): تدرج علماء الغرب في تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الصغيرة فأكتشفوا أنها لا تخضع لمبدأ الحتمية، بل تسير بشكل إحتمالي وهنا ظهرت النسبية، وأصبح النموذج الإرشادي الذي يوجه هذه الحقبة يقوم على الاحتمال والنسبية. والحقبتين الغربيتين في حقيقة الأمر تطرفتا كثيرا في التوجه المادي، أي أن البراديغم الحقيقي الذي يوجهها هو براديغم مادي دنيوي صرف.

ينحرف هذا النموذج الإرشادي الغربي عن مساره الصحيح الذي رسمه المسلمون، فيؤدي ذلك إلى سلبيات خطيرة جدا، أدت بالحضارة الإنسانية إلى طريق مسدود، رغم الجرعات المتتالية التي تحاول مواصلة دفعها إلى الأمام، بتلك المراجعات التي هي بمثابة مسكنات لمرض خبيث يفتك بجسد البشرية جمعاء؛ فمحاولة (إدغار موران) –مثلا- الإنقلابية على مبادئ ومسلمات ومفاهيم البراديغم الغربي ذاته لتجاوز التعقيد الموهوم بالتفكير في منهج المنهج وحياة الحياة.. ماهي في الحقيقة إلا محاولات يائسة تطفئ ظمأ الرمق الأخير.

- المبحث الثالث: مشروع إسلامية المعرفة (العالمية الإسلامية الثانية): يدرك نخبة من العلماء المسلمين على رأسهم إسماعيل راجي الفاروقي وعبد الحميد أبوسليمان وغيرهم كثير، مرة أخرى – فقد أدرك ذلك ابن تيمية وابن القيم والشافعي والشاطبي وغيرهم رحمة الله عليهم جميعا...- خطورة المأزق الذي وُضعت فيه الحضارة الإنسانية من جراء توجيه النموذج الإرشادي الغربي (البراديغم)، وراحو يفكرون جديا في إرجاعها إلى مسارها الصحيح، فالمشروع إذن هو محاولة لبناء وتفعيل النموذج الإرشادي الإسلامي الذي يعيد حركة الحضارة إلى مسارها، من خلال بناء منهج معرفي قرآني، يحتوي ما أنجزه الغرب من إيجابيات ويتجاوز السلبيات منقذا بذلك الحضارة الإنسانية من الهلاك.

وقبل التعريف بالمشروع وقراءته قراءة تقييمية بغرض الاستفادة منه في الواقع الجزائري، يجدر بنا أن نعرف أولا بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

1- التعريف بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي: مشروع إعادة بناء المجتمع الإسلامي لأجل استئناف البناء الحضاري الذي بدأه العلماء الذين عاشوا بين القرن السابع والقرن الثاني عشر للهجرة، انتقلت فكرته الأساسية إلى نخبة من العلماء الذين هاجروا إلى الغرب خاصة أمريكا، وأدركوا حقيقة هذه الحضارة التي تدعي الحرية والديمقراطية والعدالة، وهي تقوم بأبشع عمليات الاستلاب، أدركوا

حقيقة النموذج الارشادي الذي يوجهها، بل اتضحت لهم السيرورة الحقيقية للحضارة التي يمسك بزمامها الفكر الغربي.

فقد كان المشروع في بدايته تأملات متناثرة في المنهج والمعرفة والتصنيف المعرفي الإسلامي ثم تحول إلى كيان بتأسيس جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في أمريكا 1972م، ثم صار مؤسسة بحثية علمية علي أيدي الرواد الأوائل -على رأسهم الشيخ إسماعيل راجي الفاروقي- الذين أسسوا المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 1981م.

فالمعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة ثقافية فكرية علمية خيرية مستقلة، تعمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي من خلال تنفيذ المشاريع البحثية وعقد المؤتمرات والندوات، ونشر الكتب والدوريات العلمية المحكّمة.

ويتعامل المعهد مع مصادر التراث الإسلامي والمعرفة الإنسانية المعاصرة، مقره العام في (هيرندن) من ضواحي العاصمة الأمريكية واشنطن، وله مقر في فرجينيا... وله فروع ومكاتب في عدد من العواصم الإسلامية؛ ففي القاهرة أنشئ مركز الدراسات المعرفية سنة 2009م، وفي بيروت تم الاتفاق مع جامعة بيروت الإسلامية كلية الشريعة سنة 2013م، وفي جامعة الجزيرة أنشئ معهد إسلام المعرفة (إمام) في الرابع والعشرون من ديسمبر من عام 1990م بقرار من مجلس إدارة الجامعة... وفي ماليزيا الجامعة الإسلامية العالمية، وكذا بعض العواصم العالمية، في فرنسا والنرويج...

2- معالم مشروع أسلمة المعرفة

"أسلمة المعرفة مستمدة من نظرية في الفروع أو في الفقه"[18] فهي إعادة توجيه وتصحيح للعلوم والمعرفة نتيجة التدافع بين الحقلين المعرفيين الإسلامي والغربي، فالمشكلة التي واجهها العلم مع الدين مثلا؛ ليست مع الدين الإسلامي بل مع الديانات المحرفة والاعتقادات الفاسدة، في الإسلام العلم هو عنصر من مكونات الدين، كما أن تصنيف العلوم وتعددها أدى إلى ابتعادها عن بعضها، فالأصل هو أن العلم واحد يتشعب ولا يتعدد، ينبثق من التوحيد ويتشعب موغلا في التخصص دون أن ينفصل عنه، فإذا استقلت شعبة من الشعب وتحولت إلى علم مستقل بذاته انقطع ارتباطها بالتوحيد فتفقد خاصية التكاملية مع الشعب الأخرى وخاصية الشمولية التي تستقيها من الرؤية التوحيدية.

الخاتمة: وفي ختام هذه الورقة البحثية نصل إلى النتائج التالية:

- أولا: العلم الحديث بنظرياته ومناهجه باب واسع جدا، فيه العلم وفيه الأباطيل والمفاسد والانحرافات والخرافات، ومصطلح "الثورة العلمية" هو الذي يُعَبِّر عن مرحلة الانتقال من العلم القديم إلى العلم الحديث وأن الكثير مما ينسب لهذه الثورة ظهر في الحقبة التي تولى فيها المسلمون

الإمساك بزمام الحضارة، وأن نقدهم لفكر أرسطو هو الذي نقل البشرية إلى مرحلة التفكير العلمي، والغرب استفاد من كل هذا ووجه العلم توجيها ماديا إلحاديا في ثورته على الإقطاع والكنيسة، ومع علم الفلك انطلق العلم الحديث، وأن أصل الصراع بين العلم والدين هو حادثة غاليليو، منذ ذلك التاريخ ظهرت العلمانية، وأن ثلاثة نظريات كبيرة هي التي أسست لهذه الفترة؛ الفلك مع غاليليو ونظرية نيوتن ونظرية داروين، فأي محاولة لأسلمة المعرفة يجب أن تبدأ أولا بالتمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي، ثم ما كان علميا وتم توجيهه توجيها غير علمي.

- ثانيا: إن موجة الإلحاد في القرن التاسع عشر، وما تسببت فيه من توجيه منحرف للعلم، لحقته نتائج خطيرة على المستوى التقني والصناعي والسياسي والاجتماعي والنفسي والثقافي والديني، وأن ظهور ثلاثة نظريات هي؛ نظرية النسبية والكم والكوانتم أدت إلى تصدع هذا الفكر الإلحادي، وانهدام الكثير من المسلمات التي أوهم بها الغرب البشرية؛ كمسلمة موضوعية العلم وتقديسه وكفايته، وأصبح العلم كأي نشاط إنساني يتأثر بطبيعة البيئة الثقافية التي يوجد بها، فينحرف ويستقيم حسب طبيعة هذه الثقافة، فالعلم شيء وتوجيهه بما يخدم الثقافات والفلسفات والاديولوجيات شيء آخر، لهذا فأي حديث عن أسلمة العلم أو المعرفة يجب أن يكون متجها إلى إعادة توجيهها توجيها صحيحا، بعيدا عن الأمراض الاعتقادية المنحرفة والأمراض النفسية والاجتماعية، فالعلم باتجاهه الغربي الإلحادي المادي العلماني أحاط نفسه بسياج يمنع اقتراب الدين منه، رغم أن أصوله نشأت في أحضان الدين الإسلامي.

- ثالثا: منذ عصر الترجمة الأولى التي حصلت بالإسكندرية أو الثانية التي حصلت ببغداد، أصبح اليهود والنصارى هم السباقون إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية، فوجهوها هي الأخرى توجيها ماديا إلحاديا، وحركة الاستشراق لعبت دورا كبيرا في طمس وتحريف صورة المسلمين وعلاقتهم بالعلم، فقد تميزت الحضارة في عهد المسلمين بالعلم تميزا لا نظير له، فوصلت بالعلم الديني إلى أعلى مراتبه، وأعطت للعلم الدنيوي رؤية جديدة ودفعا جديدا ومنهجا جديدا نابعا من منهج العلم الديني ذاته، فحققوا توازنا عجيبا بين علوم الدين وعلوم الدنيا وتكاملا معرفيا لا نظير له.

فمشروع أسلمة المعرفة بدأ في الحقيقة هناك بعيدا مع مساهمات ابن تيمية ومن سار على دربه، في أخذ النافع من العلم وتأصيل المعرفة البشرية في البيئة الإسلامية، وإعادة بنائها بحسب ما يتوافق مع مصادرهم التأسيسية، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالمهمة مزدوجة؛ تصفية العلم والمعرفة مما علق بها من مفاسد وخرافات وأباطيل وسفسطات.. ثم إعادة توجيهها توجيها مستقيما يتوافق مع الدين ويخدم العباد والبلاد.

هوامش المقال

[1]- نصر محمد عارف. الحضارة الثقافة المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم. (دط، 1414هـ- 1994م). القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 55.

[2]- ابن فارس، أبي الحسن أحمد. معجم مقاييس اللغة. (دط، دت). ج3، دمشق: دار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص262.

[3]- الزمخشري، محمد بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود، ج1. (ط1، 1419هـ-1998م). بيروت: دار الكتب العلمية، ص503.

[4]- ابن منظور، محمد. لسان العرب. تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون. (دط، دت). القاهرة: دار المعارف، ص2238.

[5]- ابن منظور، محمد. لسان العرب. المرجع السابق نفسه، ص2239.

[6]- معجم لسان العرب. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، المجلد الرابع، ص 2238- تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي- دار المعارف- القاهرة- د. ت- يتكون من ستة مجلدات.

[7]- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية تصدير د. إبراهيم بيومي مدكور، وإخراج: أحمد حسن الزيات وآخرون، جزآن في مجلد- ح1 ص 479- ط2- 1392هـ- 1972م - القاهرة.

[8]- معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية- تصدير: د. إبراهيم بيومي مدكور- مجلدان- مج1 ص 624- ط2- 1409هـ- 1988م- القاهرة.

[9]- معجم المصطلحات الفلسفية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية: ص 77 عمل: د. أبو العلا عفيفي ود. زكي نجيب محمود ود. محمد ثابت الفندي- 1964- المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب- القاهرة (مجلد واحد).

[10]- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ح2 ص 1056- تعريب: د.: خليل أحمد خليل- ط2- 2001م- -منشورات عويدات- بيروت، باريس3 مجلد.

[11]- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، يتكون من مجلد واحد، ص 183- اضطلع باعبائه: د. إبراهيم مدكور، ود. محمود قاسم ود. محمد يوسف موسى وآخرون- 1403هـ- 1983م - الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- القاهرة.

[12]- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، ص 211.

[13]- ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. المرجع السابق. ج4، ص446.

[14]- الزمخشري. أساس البلاغة. المرجع السابق، ج2، ص32.

[15]- ابن منظور، محمد. لسان العرب. المرجع السابق نفسه، ص3451.

[16]- حاج حمد، محمد أبو القاسم. منهجية القرآن المعرفية أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية. (ط2، 1429هـ- 2008م). بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ص6.

[17]-ابن تيمية: مجموع الفتاوى "مفصل الاعتقاد"، د م. ص83-84.

[18]- أبو ريان محمد علي. (دط، 1997م). أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية. القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ص6.